الدرس رقم (04):

الازمة الروسية الأوكرانية وتداعياتها العالمية

مقدمة:

انتهجت روسيا الاتحادية في شبه جزيرة القرم سياسة التوسع، من خلال توجيه مقاربتها نحو الاستعمال الواسع للوسائل العسكرية والسياسية و الاقتصادية والإعلامية، وغيرها من التدابير الغير عسكرية، و ذلك لاستعادة المكانة السوفياتية، كما أن أوكرانيا تقدم نموذجا جديدا من الحروب لما بعد الحرب الباردة، حيث تشكل محورا هاما في الصراع الدائر بين القوى الكبرى (روسيا، الاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة الأمريكية)، إذ أن لكل من هذه القوى أوراق ضغط توظفها، والرغم من الجهود الدولية لاحتوائها، نتيجة لتناقضاتها قد باءت بالفشل، ففي ظل هذه الاعتبارات سيبقى مستقبل الأزمة الأوكرانية مفتوح النهاية، ومعرض للعديد من الاحتمالات.

لقد اختلفت الحروب عن ما كانت عليه سابقا، حيث طرأت عليها العديد من التحولات، ويظهر ذلك من خلال دوافع حدوثها والفاعلين فيها، وحتى الوسائل المستعملة، خاصة في ظل بروز عالم الحروب الحديثة للقرن الحادي والعشرين، ومن بين المفاهيم الجديدة في عصر الحروب الجديدة، نجد الحرب الهجينة، والتي تعني:" تلك الصراعات، التي تجمع ما بين مفاهيم الحرب التقليدية، ومفاهيم الحرب الغير نظامية، والحرب الإلكترونية"، و تتجلى أبرز مظاهر الحرب الهجينة في حالة الأزمة الأوكرانية، أين لجأت روسيا لاعتماد نموذجا هجينا، فقامت بضم شبه جزيرة القرم، نظرا للأهمية التاريخية والاستراتيجية لها، حيث تعد أوكرانيا جزءا من التاريخ

والذاكرة، فهي تعتبر مكونا من مكونات الهوية الروسية، إضافة لاعتبارها ميناءا استراتيجيا أساسيا لمصالح روسيا الحيوية .

إن مسألة الرؤية الجديدة للاستراتيجية لروسيا، في إعادة بناء قوتها العالمية تكمن في جعل أوكرانيا الخط الأحمر لامتداد التوسع الغربي فمن هذا المنطلق يتبادر إلى أذهاننا طرح السؤال التالي: فيما تتجلى مظاهر وسمات الاستراتيجية الروسية في التعامل مع الأزمة الأوكرانية وما موقف الجزائر من ذلك؟

1-الأزمة الأوكرانية والاستراتيجية الروسية اتجاهها :

تعد الأزمة الأوكرانية، من أبرز الأزمات الجيوسياسية المعقدة، التي تواجه أوروبا بعد فترة الحرب الباردة، في ظل سعي من جهة كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي لمحاصرة روسيا جغرافيا، عن طريق جمهورياتها السابقة، ومن جهة أخرى رغبة الرئيس الروسي "بو تين" في استعادة الأمجاد السوفياتية، حيث تسعى ادارة هذا الأخير للسيطرة على أوكرانيا، قصد حماية المصالح الحيوية الروسية، في الوقت الذي يسعى الغرب بدوره لاحتواء أوكرانيا، عن طريق التوسع الأورو- أطلسي، وعلى غرار أسباب نشوب الأزمة المتعددة، يعد أبرزها تعليق أوكرانيا لاتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي عام 2013 ،الأمر الذي أدى بمؤيدي الانضمام للاتحاد الأوروبي للتظاهر وحدوث احتجاجات شعبية عارمة، وقد تسارعت الأحداث إلى غاية الوصول لحدوث الانقلاب والإطاحة بالرئيس "يانكوفيتش "الموالي لروسيا عام 2014، لتتبدد بذلك آمال الرئيس الروسي "بوتين" بالانضمام أوكرانيا للاتحاد الجمركي والاقتصادي، ما استدعاها لاستعمال سلاح الانتماء القومي، وقامت بضم شبه جزيرة القرم إليها.

وعند تحليل الاستراتيجية الروسية، اتجاه أوكرانيا، من خلال وصف الأسلوب المعتمد في حربها التي انشرت في شبه جزيرة القرم، و في أوكرانيا الشرقية، نجد تعبيرا واحدا، يمكن أن يلخص الظاهرة وهو الحرب الهجينة، والحقيقة أن اعتماد المصطلح من طرف الناتو أسهم في استعماله، على نطاق أوسع على الرغم من تطور التعابير، مع مرور الوقت، حيث تم المز ج

بين أساليب الحرب التقليدية، ووسائل الإرهاب والجريمة المنظمة، كذلك من المهم ملاحظة مقال "**فريدمان لورانس**" الصادر في شهر جانفي، عام 2015 بعنوان "البقاء على قيد الحياة"، أين صرح أن الحالة الأوكرانية، تعبر عن حدوث حرب هجينة.

ويعود بروز النموذج الروسي الهجين في أوكرانيا إلى توظيف روسيا لأساليب هذا النوع الجديد من الحروب، بينما في الحالات السابقة كالشيشان، العراق، لبنان، استخدمت تلك الأدوات من طرف جهات غير حكومية، و باللتالي كانت عمليات روسيا في أوكرانيا، أوسع وأوضح بكثير عن سابقاتها من الحالات الهجينة الأخرى، حيث لم تركز روسيا فقط على أرض المعركة، بل ركزت أيضا على الوسائل غير العسكرية، ولقد أعدت الأركان العامة الروسية، لعمليات هجينة في أوكرانيا قبل وقت طويل من الأزمة حيث كانت هناك مناورات عسكرية في عدة مناطق عسكرية، خاصة ما سمي بالتمرين الثاني للجيش الروسي في عام 2013 الذي شمل أكثر من 75.000 جندي حيث ثبت فيما بعد أنه كان بمثابة تدريب لأجزاء من الحملة على كما قاد الجيش الروسي الحديث الدفاع الجوي، اتجاه الخصم، وفي ظل توفر وسائل القمع الجديدة والمتطورة التي لم تكن، متاحة للقوات الأوكرانية، حيث تم اعتماد طائرات بدون طيار، ومركبات أمامية، واستخبارات عملياتية، استهداف تكتيك (حرب معلوماتية) بما في ذلك نظم الموجات الدقيقة العالية الطاقة، كما شوشت على الاتصالات الأوكرانية، وعطلت عملية المراقبة التي تديرها فرق من منظمة الأمن والتعاون وأيضا استعملت الطاقة لأغراض سياسية، حيث أطلقت ما يعرف الدب النشط، كأداة في سياستها، وذلك من خلال منع الدول الأخرى، من الوصول إلى الموارد الطبيعية، كما هددت أيضا بقطع خطوط أنابيب الغاز إلى أوكرانيا، إضافة إلى خلق ضغوطات إنسانية، للأقليات الناطقة بالغة الروسية، من خلال زعم أنهم يعاملون معاملة سيئة، ومن ثم الأخذ بمبدأ "المسؤولية عن الحماية كذريعة للتدخل.

وجهت روسيا، رسالة واضحة في حملتها الهجينة، أين تبرز أن الأساليب التقليدية لوحدها في الحرب، ليست الطريقة المثلى، لتحقيق النصر على أرض المعركة، في عصرنا الحالي.

ولقد حققت حملات روسيا الهجينة في أوكرانيا، النتائج المرجوة إلى حد كبير من خلال ما يلي:

1/إغراق المنطقة بالأسلحة غير المشروعة، وذلك بالاستعانة بالمرتزقة لتدمير البنى التحتية .
2/ إضعاف الاقتصاد المحلي الذي نتج عنه عجز الدولة في توفير الرعاية الاجتماعية، والعدالة، مما تسبب في تفاقم أزمة اللاجئين، وتوظيف حرب المعلومات، من خلال استغلال وسائل الإعلام الاجتماعية، إضافة إلى هجمات القرصنة الإلكترونية، والأمر المثير للدهشة أن هذه الأساليب الغير عسكرية للنموذج الروسي الهجين، قد عادت بثمارها.

3/ تفعيل الاستثمارات الروسية في الاقتصادات الأوروبية الرئيسية، عن طريق اللجوء للرشوة والتأثير على النخب الاقتصادية .

4/ الحصول على دعم الأحزاب السياسية المناهضة، من خلال شراء وسائل الإعلام .

5/إقامة علاقات مع المؤسسات الدينية، واستغلال التوترات العرقية التي لم تحل، وشن حملات من أجل حقوق الأقليات.

6/تمكنت روسيا من تكييف القوات غير العسكرية، لبلوغ أهدافها مثل استهداف المالية البريطانية، ومبيعات الأسلحة الفرنسية والنفط الألمانية، خاصة وأن وسائل الإعلام العالمية، تركز فقط على القدرات التقليدية والنووية الروسية

كما أظهرت الحرب الروسية ضد أوكرانيا، سعي الروس لاسترجاع الإمبراطورية الروسية، ويتجلى ذلك في شبكات التواصل الاجتماعي (فيسبوك، تويتر)، حيث تدور التعليقات دائما، حول الرئيس الروسي "بوتين"، على أنه الزعيم القوي، ذو اللغة الواضحة الذي يسعى من خلال قيادته لتطوير قدرات روسيا حاليا، وبلوغ هدف استرجاع مكانتها العالمية، حيث أن روسيا تسعى جاهدة لإعادة هيبتها والحفاظ على أمنها، الأمر الذي يدعوها لتعزيز وضعها العسكري في المناطق الحدودية.

2/دور القوى الدولية في إدارة الأزمة الأوكرانية:

يمثل موقع أوكرانيا محورا استراتيجيا، وجيوبوليتيكيا في تصور المنظرين الإستراتيجيين، كفاعل أساسي فيما يسمى برقعة الشطرنج الكبرى، وهي تعد بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، ذات أهمية حيوية وجيو -سياسية، و جيو – إستراتيجية، تبدأ بمحاصرة منطقة النفوذ الروسي، كما أن موانئ أوكرانيا مهمة للحلف الأطلسي عند دخولها إلى البحر الأسود، حيث يمثل النفوذ الأمر يكي وسيلة ضغط لروسيا، لعدم عرقلة ، مشاريع أمريكا في المنطقة، وخاصة الشرق الأوسط المتحدة الأمريكية.

ونظرا لأن أوكرانيا، تحتل مكانا هاما في رقعة الشطرنج الروسية وبالتالي فهي دولة محورية جيوبوليتيكية، ممتدة عبر أوروبا وآسيا، كما تمثل أوكرانيا حجر الزاوية للدفاعات الروسية، فهي تحتوي أكبر تجمع روسي في العالم خارج روسيا، وتعد امتدادا طبيعيا للصناعة والزراعة الروسية، وكذلك فإن أهميتها تنبع من كونها تعطي روسيا القدرة على مد نفوذها السياسي، والعسكري والاقتصادي، إلى دول شرق أوروبا والقوقاز، والبحر الأسود.

كما لا يمكن تجاهل تأثير العلاقات الطاقوية الأوروبية– الر وسية، في ضوء أزمة القرم، خاصة وأن مفهوم أمن الطاقة يشكل عنصرا جوهريا في العلاقات بينهما، حيث تمثل أوكرانيا نقطة عبور الغاز الطبيعي الروسي إلى أوروبا، وهمزة الوصل لمعظم البنى التحتية للصناعات الروسية، سواء عبر خطوط الأنابيب أو الطرق، والسكك الحديدية، وقد أدت عدم فعالية العقوبات الغربية على روسيا إلى خوف أوروبا من التداعيات السلبية على اقتصادها، من خلال ما سبق يظهر أن روسيا، تسعى لإبراز مكانتها الدولية والإقليمية، من خلال الحرص على تحقيق مصالحها الجيوستراتيجية، عن طريق السعي لإبقاء نفوذها الجيوسياسي، خاصة على دول الخارج القريب، ولقد أدرك الرئيس الروسي "**بوتين**"، منذ توليه الحكم أن مستقبل روسيا مهدد، لذلك سعى لوضع هدفين رئيسين، قصد استرجاع قوة روسيا، وهيبتها وقدرتها على التأثير في العالم وهما:

1–إعادة هيبة السلطة المركزية .

2- وضع مخطط اقتصادي، طويل المدى يرفع معدل التنمية إلى أقصى مستوى ممكن .وبغية تحقيق الهدف الأول، قام الرئيس "بوتين" باتخاذ إجراءات، للتقليل من مصادر التأثير والقوة خارج مؤسسة الرئاسة، بحيث يصبح الكريملين مصدر السلطة العليا، كما استفاد من الأداء

الاقتصادي، الذي ميز فترته نتيجة لارتفاع الاحتياطات المالية المتأتية، من ارتفاع أسعار البترول، مما سمح له بتنفيذ إصلاحاته السياسية، وتجاوزه لخطر التفكك، والفوضى

3/المساعي الدولية لحل الأزمة الأوكرانية :

سعت القوى الدولية جاهدة لاحتواء الأزمة، ولإرساء السلام، و ذلك من خلال توقيع اتفاقية "مينسك الأولى" بين كييف والانفصاليين، بتاريخ 5 سبتمبر 2014 ،ثم أعقبها اجتماع وزراء خارجية رباعية **النورماندي** في **برلين** يوم 21 جانفي 2015 الذي أعقبه توقيع إتفاقية "مينسك الثانية"، في 12 فيفري 2015 ،من طرف رؤساء كل من فرنسا، ألمانيا وروسيا، وأوكرانيا، و لقد دخل الاتفاق الأول، وقف إطلاق النار حيز التنفيذ بتاريخ 05 سبتمبر 2014 ،بعد أن أمر الرئيس الأوكراني "بورشنكو" قوات بلده، بوقف إطلاق النار مباشرة بعد التوقيع على الاتفاق المبدئي، ضمن خطوة أولى لبحث ترتيبات إنهاء الاقتتال، و تسوية الأزمة بالطرق التفاوضية كما أعلن الوزير الأول الأوكراني، أن الاتفاق تضمن أيضا انسحابا جزئيا، للقوات الروسية التي تدخلت إلى أوكرانيا، وإعادة فرض مراقبة أمنية، على طول الحدود أما فيما يخص "إتفاقية مينسك الثانية"، فإنه كان هناك تخوف في أواسط الأطراف، ومن المتوقع لجوء الطرفان مجددا للتفاوض، وفقا لمذكرة "بودابست" لعام 1994 ،حيث تعهدا كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، و بريطانيا احترام سيادة أوكرانيا واستقلالها، وعدم التهديد بالقوة أو استخدامها معها، في مقابل تخليها عن السلاح النووي، ولقد ساهمت الاتفاقيات المذكورة بشكل نسبي في التخفيف، من حدة التصعيد العسكري مع روسيا، وفتحت باب للتفاوض، لكن حكومة كييف أصرت على نشر قوات حفظ السلام، في شرقي أوكرانيا، و المطالبة باستعادة أوكرانيا، في حين أكدت موسكو، على أنه ما كان يجري في أوكرانيا شأن داخلي.

خاتمة:

شهدت الساحة الدولية دخول عوامل جديدة، أدت إلى حدوث تغييرات أفرزت بدورها ظواهر جديدة لاسيما بعد بروز أجيال جديدة من الحروب التي تتميز أنها شاملة الأبعاد، و أبرزها ظاهرة الحرب الهجينة، التي تشتمل مزيجا من العناصر العسكرية والغير عسكرية، وعلما أن القيادة الروسية، باختلاف توجهاتها لها قناعة بان أوكرانيا، لا يمكن لها أن تكون خارج إستراتيجية الأمن القومي الروسي، كما أنه هناك استمرارية في الفكر الإستراتيجي ما بين الإتحاد السوفياتي سابقا، وروسيا الاتحادية حاليا، و لعل أن ضم شبه جريرة القرم من قبل

روسيا، يبرز مدى فعالية ومرونة الإستراتيجية الروسية الجديدة التي تصبو من خلالها لبلوغ هدفها الأسمى في استرجاع هيبتها على الساحة الدولية.

المراجع:

بريجنسكي زبيغنو، **رقعة الشطرنج الكبرى: السيطرة الأمريكية، و ما يترتب عليها جيوستراتيجيا**، دمشق: (مركز الدراسات العسكرية)، ط2 ،1999.

بفغيني بريماكوف، **العالم دون روسيا: قصر النظر السياسي وعواقبه**، ترجمة عبد الله حسن، (سوريا دار الفكر)، ط1 ،2010

أسماء حداد، **الحروب الهجينة: الأزمة الأوكرانية أنموذج**، مجلة مدارات سياسية، عدد ديسمبر 2017.

قدورة عماد، "**محورية الجغرافيا والتحكم في البوابة الشرقية للغرب: أوكرانيا: بؤرة الصراع**"، سياسات عربية، العدد 9، الدوحة: (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، جويلية 2014

أسامة أبو رشيد، "**الولايات المتحدة وجدل تسليح أوكرانيا**"، تحليل سياسات، الدوحة: (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات).